المحاضرة الرابعة

التأهيل النفسي للمقبلين على الزواج

جَرَت عادة الناس أن الذي يذهب إلى رحلة سياحية يتهيأ نفسياً ومعنوياً لها، وأن الذي سيخوض حرباً يتهيَّأ لها كذلك نفسياً ومعنوياً، وهكذا سائر شؤون الحياة المهمَّة.

وعلى هذا فإن طالب الزواج لا بدَّ أن يستعدَّ لهذه الرحلة الطويلة أيضاً، وأن يتهيأ لما سيقابله ويواجهه بعد الزواج.

يكون التأهيل النفسي للزواج من خلال ثلاث نقاط، هي:

الزواج مسؤولية.

الزواج تضحية.

الزواج قبول للاختلاف.

أولاً- الزواج مسؤولية

على كلِّ مَن أقبل على الزواج أن يعلم أن أعباءً جديدةً ستُلقى على عاتقه، وأنه سيصبح مسؤولاً عن أسرة: زوجة، وأولاد، ومنزل..وغير ذلك.

فالحالة العاطفية وحدها لا تكفي في هذا الأمر، بل لا بدّ أن

يكون الزوج قادراً على تحمُّل المسؤولية المُلقَاة على عاتقه، كما قال رسول الله ﷺ: «**ألا كلُّكم راعٍ، وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيَّته..**»(١)

ومثله الفتاة، يجب أن تتهيأ لتحمل المسؤولية أيضاً، فالحب وحده لا يكفي؛ لأن الحب جزءٌ من أجزاء كثيرة يبنى عليها الزواج، فإذا وُجِد الحب فلنبحث عن الأجزاء الأخرى.

وما يقال: (الحب إذا وجِد يَسَّر ما بعده!!) هذا القول ليس دقيقاً؛ إذ الحب شيءٌ من أشياء كثيرة يتطلَّبها الزواج، وعلى رأسها تحمُّل المسؤولية.

فكيف ستتصرَّف الزوجة إذا وقع زوجها في إعسار وفقر؟

وكيف سيتصرَّف الزوج إذا مرِضَت زوجته مرضاً شديداً؟

إن كانا متدرِّبين على تحمُّل المسؤولية فسيرعى كلٌّ منهما ظرف الآخر، وهذه الرعاية تولّد الحب الذي يُعتَمَد عليه في الحياة، لا الحب المبذول على قارعة الطرقات، المعروض بكلمات العشق والغرام.

وتتحدَّد مسؤولية الرجل بأمرين اثنين، ومسؤولية المرأة باثنين مثلِهما، أشار إليها قول الله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ﴾ [النساء: ٤/ ٣٤].

---

(١) متفق عليه.

فمسؤولية الرجل القوامة أي الإدارة والرعاية. والنفقة.

ومسؤولية المرأة طاعة الزوج. وحِفظُ البيت والأولاد في حضور الزوج وغيبته.

ثانياً- الزواج تضحية

لا يقوم زواج من دون تضحية، ولا يستمر من غيرها.

ليَسأل الشباب آباءهم، ولتسأل الفتيات أمهاتهنّ، كلُّهم بلا استثناء سيجدون أنه ما قامت أسرة واستمرَّت إلا بالتضحية، مراراً ما تعْتَرِضهم صعوبات الحياة ويصبرون، مراراً ما يضحُّون بأثمن ما لديهم لاستمرار الأسرة، لن يجدوا أسرةً استمرَّت في مسيرتها إلا بتضحية من الزوجين؛ لأن الزواج يقوم على التضحية، ولا زواج من دونها.

مات زوج أمّ هانئ الصحابية الجليلة، بنت عمِّ رسول الله ﷺ، وأخت سيِّدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وترك لها أيتاماً، فخَطَبَها رسول الله ﷺ لنفسه، فاعتذَرَت إليه، وذَكَرَت أن لها صِبْيةً صغاراً؛ يعني: تلتفت إلى تربيتهم، وتخشى إن تزوَّجت وأدَّت حق زوجها أن تَنقُص حق أولادها، وإن أدَّت حقَّ أولادها أن تَنقُص حق زوجها. فعَذَرَها رسول الله ﷺ، وقال: «**خير نساء ركبن الإبل نساء قريش؛ أحناه على ولدٍ في صِغَره، وأرعاه على زوجٍ في ذات يده**»(١).

(١) متفق عليه.

لقد ضحَّت أم هانئ بأشرف رتبةٍ ولقبٍ تناله امرأة في العالم، فلو أنها تزوَّجت رسول الله ﷺ لصارت أم المؤمنين في الدنيا والآخرة، ولحازت رتبة السيدة الأولى في مصطلح اليوم.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قال: (تزوجتُ، فقال لي رسول الله ﷺ: «**تزوجتَ يا جابر؟**» فقلت: نعم، قال: «**بكراً أم ثيباً؟**» فقلت: لا، بل ثيباً، فقال: «**هلَّا جارية تلاعبها وتلاعبك؟**» فقلت: يا رسول الله، إن عبد الله -يعني أباه- مات، وترك سبع بنات، أو تسعاً، فجئتُ بمن تقوم عليهن، فدعا لي)[1]. لقد ضحى جابر رضي الله عنه بلذَّة يبحث عنها كل شاب في زواجه، ذلك بأن تكون زوجته بكراً، ضحى لأجل أن تَسْلَم أسرة أبيه وأمِّه.

ولا ريب أن مَن قدَّم الجماعة على الفرد، وآثر أسرته على نفسه طالباً بذلك ثواب الله تعالى وأجرَه نالَ رضاه سبحانه. عن عوف بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أنا وامرأة سَفْعَاء الخدين كهاتين يوم القيامة -وأومأ بالوسطى والسبابة-: امرأة أَيِمَت من زوجها، ذاتُ منصبٍ وجمال، وحَبَسَت نفسها على يتاماها حتى بانوا أو ماتوا**»[2]. فلا بد لطالب الزواج أن يؤهِّل نفسه للتضحية، وأن يعلَم أن سيره نحو الزواج سيرٌ نحو التضحية، وهو مأجور على ذلك مُثاب عليه، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [التوبة: ٩/ ١٢٠].

---

(١) متفق عليه.

(٢) السَّفعاء: هي السوداء، والحديث عند أبي داوود والطبراني.

ثالثاً- الزواج قبولٌ للاختلاف

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١/١١٨-١١٩].

الاختلاف سُنَّةٌ من سنن الله تعالى في الأرض، ولا تقوم الحياة من دون اختلاف، ومن غير الممكن اتحاد الناس في أحوالهم كلِّها، وقد قال أهل المنطق: (إذا انتفى كلُّ فارقٍ انتَفَت الاثنينِيَّة)، لهذا لا بد أن يتهيّأ الزوجان نفسياً ليتقبَّل كلٌّ منهما الآخر على حاله، ثم هما يسعيان إلى التقارب مع مرور الأيام.

أقول: لا يوجد على الإطلاق زوجان متَّفقان في كلِّ شيء (مئة بالمئة)، فإذا كان بين الزوجين اتفاق بنسبة ٦٠٪ فهذا أمر جيد! بل جيد جداً! وإذا كانت النسبة ٥٠٪ فهذا جيد، ومن النادر أن تبلغ النسبة ٧٠٪. لكنْ مع مرور أيام حياتهما الزوجية يزداد التقارب والتفاهم بين الزوجين، الأمر الذي يزيد نقاط الوفاق، ويقلِّل نقاط الاختلاف بينهما.

من أجل هذا أرى أن على كلٍّ من الزوجين أن يتهيأ نفسياً لقبول الاختلاف، لتَسلَم لهما حياتهما الزوجية.

وبعد، فهذه هي النقاط الثلاث في التأهيل النفسي للمقبلين على الزواج:

الزواج مسؤولية. الزواج تضحية. الزواج قبول للاختلاف.

وإنه من الظلم الاجتماعي ألَّا يتأهَّل الشباب والفتيات للزواج تأهيلاً نفسياً صحيحاً، وأشدّ منه أن يتأهّلوا تأهيلاً سلبياً، حين تَملأُ أذهانهم وتَشحَن عواطفَهم ومشاعرَهم كلماتُ الحب والعشق والغرام، يتلقَّونها من الأفلام والمسلسلات والأغاني، فيذهبون نحو الزواج دون استعداد للتضحيةِ ولا لقبولِ الاختلاف، ولا لتحمُّلِ المسؤولية، بل بحثاً عن هذا الذي مُلِئَت به عقولُهم وقلوبهم، فربما وجدوه، وربما افتقدوه، عندها ستُصاب حياتهم الزوجية بمقتَل ولا ريب، والله أعلم.

obeikandl.com